الآراميون

الآراميون هم الجماعة الثالثة الكبرى من الهجرات الجزرية في بلاد الشام وكانوا قبل استيطانهم وأستقرارهم في بلاد الشام من الجماعات البدوية التي تتجول في بوادي الجزيرة الشمالية ، وكانت تتغلغل جماعات منهم بين الحين والآخر في البلدان المتحضرة المجاورة مثل سورية والعراق ، وقد استوطنوا أخيرا في جهات الفرات الأوسط منذ منتصف الألف الثاني ق.م ونمت لغتهم وقوميتهم وثقافتهم الخاصة بهم ، وقد اقتبسوا من الآموريين والكنعانيين ومن الحضارات الأخرى التي جاوروها لاسيما حضارة وادي الرافدين والحضارة الحثية الكثير من مستلزمات الحضارة المختلفة .

أما كلمة آرامي التي وردت على هيئة آرام أو أرم جاءت في القران في سورة الفجر(( أرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد )) تعني هذه الكلمة النجد أو الهضبة ، وقد أضيفت هذه الكلمة الى عدة مواقع في بلاد الشام مثل آرام النهرين وآرام دمشق وآرام صوبا وغيرها .

ويستدل من المدونات الآشورية أن قسما كبيرا من بلاد الرافدين وسورية الشمالية والوسطى قد اجتاحته القبائل الآرامية خلال القرنين الرابع عشر والثالث عشر ق.م . ومن النصوص الاشورية نجد مجموعة من القبائل الآرامية تدعى ((الأخلامو)) أي الرفاق أو الأصحاب قد قامت بعبور الفرات وأتجهت الى بلاد آشور ، ويذكر الملك الآشوري أدد نيراري الأول من العصر الآشوري الوسيط أن والده حارب جموع الأخلامو في شمال ما بين النهرين . كذلك ورد أسم الآراميين في رسائل تجلات بلاصر الآشوري 1100 ق.م حيث وجه على الآراميين أكثر من (28) حملة ، هذا وشملت الزحوف الآرامية بلاد بابل حيث استقرت فيها جملة قبائل منهم وخصوصا قبائل كلدو (الكلديين) الذين أسسوا فيما بعد الأمبراطورية الكلدية .

هذا الى جانب ورودهم في الرسائل الحثية التي يتحدث فيها حاتوشيلش الثالث حيث يقول أن الآراميين قد هددوا سلامة الطرق في سورية وضد الحلفاء الحثيين في الدويلات السورية . كما ورد ذكرهم أيضا في مراسلات تل العمارنة في مصر في زمن أمنوفس الرابع (أخناتون) حيث تذكر هذه الرسائل أن قبائل الآراميين احتلت وجردت سورية من السيادة المصرية . وقد بلغوا من القوة في القرنين الحادي عشر والعاشر ق.م أن سدوا الطريق أمام الآشوريين نحو الغرب والشمال الغربي بحيث أن المناطق التي استوطنوها بدأت تتخذ صفة آرامية .

لقد أتخذت المناطق الوسطى من بلاد الشام قاعدة للآراميين منذ 1200 ق.م فقد نجح الآراميون في اقامة دويلات مهمة في بلاد الشام وفي منطقة الفرات الأوسط وخصوصا دويلة آرام نهرايم أي آرام النهرين في المنطقة الموصلة بين سوريا والعراق ، ويقصد بالنهرين الفرات والخابور والمعروف أن هذه الدويلة دمرت نهائيا من قبل الآشوريين في حدود القرن التاسع ق.م . ومن دويلاتهم أيضا فدان آرام وكان مركزها مدينة حران (بمعنى الطريق) ، وكلمة فدان او فدانو تعني الطريق أيضا ، ومن الجدير بالذكر أن مدينة حران أصبحت من أعظم مراكز الحضارة عبر العصور نتيجة موقعها الجغرافي ، هذا الى جانب المدن المهمة مثل آرام صوبا والتي تعني بلد النحاس في الآرامية ويعرف موقعها اليوم بأسم عنجر في سهل البقاع .

هذا الى جانب مدنهم في جبل الشيخ (جبل حرمون) مثل آرام معكة وآرام رحوب ، الا أن أشهر الممالك الآرامية هي مملكة دمشق التي أسسها الآراميون وصارت عاصمتهم والتي عرفت في أواخر القرن الثاني عشر ق.م . وقد ورد ذكر مدينة دمشق في حوليات الفرعون المصري رعمسيس الثالث (1198-1167 ق.م) ، وتذكر بالآرامية بصيغة (در- دمشق) أي حصن دمشق ، كما ورد أسم دمشق في رسائل تل العمارنة في القرن الرابع عشر ق.م بهيئة (دمشقا) والمعروف أن الأسم مشتق من أسم أحد بطون القبائل الآرامية التي أستوطنت بلاد الشام .

لقد أشتهرت مملكة دمشق في أواخر القرن الحادي عشر ق.م بحيث أصبحت من الدول الرئيسة في المنطقة لتوسعها وسيطرتها على أكثر الدويلات السورية بحيث دخلت في حروب كثيرة مع تلك الدويلات كانت النتيجة أن أصبحت هذه المملكة تمتد من الفرات واليرموك شرقا وغربا وحدود الأمبراطورية الآشورية شمالا وجنوبا ، فكانت تسيطر على شمال سوريا وشرقها وقد عرفت في الكتابات التاريخية بأسم آرام سوريا الى أن سقطت عام 732 ق.م على أيدي الآشوريين . وقد أشتهر من ملوكها المدعو ((برحدد)) الذي فرض الجزية على كافة الدويلات السورية والذي تزعم هذه الدويلات في حروبها مع الآشوريين بقيادة شلمانصر الثالث عام 853 ق.م حيث كان الجيش الآرامي يضم 60000 فارس تصدى بهم الجيش الآشوري في موقعة القرقار على نهر العاصي وأنتهت المعركة بانتصار الجيش الآشوري وتدمير حلف دمشق المؤلف من اثنتي عشر دويلة سورية . كما أن ورثة برحدد قد قامو بنفس الدور في التصدي للتوسع الآشوري مستغلين ضعف الدولة الآشورية مما حدا بهم أن يوسعوا فتوحاتهم الى شرق الأردن وسهل فلسطين وذلك من أجل السيطرة على طرق التجارة مع مصر وبلاد العرب وتمكنت مملكة دمشق من أن تصبح سيدة الموقف في بلاد الشام ، الا أن الضعف بدأ يدب في مملكة دمشق الآرامية في عهد الملك الآشوري تجلات بلاصر الثالث (745-727 ق.م) حيث سنحت الفرصة لهذا الملك الآشوري تدمير دمشق ومدنها المحيطة عام 732 ق.م وهكذا أنتهت حياة هذه المملكة وانتهى معها مجدها السياسي وسلطة الآراميين وخصوصا بعد قضاء الآشوريين على الدويلات الآرامية في أقليم سنجرلي وهي سمأل أو شمأل القديمة وكذلك الدويلات الآرامية الأخرى مثل بيت آغوشي وبيت أديني في مناطق عين تاب في منتصف المسافة بين مرعش وانطاكيا .

ان الضغط الآشوري على الدول الآرامية حال دون قيام دولة موحدة للآراميين في سورية وشمال ما بين النهرين ، كذلك كان له أثر بالغ في مجريات الأمور السياسية في بلاد الشام حيث أصبحت هذه البلاد عرضة للغزو والسلب والنهب وعدم استتاب الأمن ولكن مع اخفاق الآراميين سياسيا وصل نفوذهم التجاري والثقافي ذروة العظمة وأثر تأثيرا كليا في حياة الشرق الأدنى القديم .